مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 03 السنة 2022 ص 315 - 337

تاريخ الإرسال: 2021/12/24 تاريخ القبول: 2022/03/12
تاريخ النشر: 2022/10/07

الرحلات العشر لأنيس منصور دراسة وصفية توثيقية

The ten journeys of Anis Mansour, a descriptive and documentary study.

عبابو مليكة
جامعة تلمسان (الجزائر). malika.ababou@univ-tlemcen.dz
د زمري محمد
جامعة تلمسان (الجزائر)zemrimed@gmail.com
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي. تلمسان

الملخص:
يهتم هذا المقال بأهمية الرحلات وقيمتها بين الأنواع الأدبية المختلفة، ومالها من دور كبير في تنمية المجتمع العربي وتطوّره في معظم النواحي، كما نتطرّق إلى ذكر أبرز رحالة في العصر الحديث وهو الكاتب أنيس منصور، شهير بين الأدباء العرب البارزين، يعدّ موسوعة في الاطلاع والفكر والإشعاع الثقافي، ساهمت مؤلفاته في تكوين وعي جيل كامل، وتميّز إنتاجه بالغزارة والتنوع، وهنا وجب الإشارة إلى مساهمته البليغة في أدب الرحلة، فقد قدّم ثروة معرفية ضخمة لإثراء هذا المجال، وله كتب عديدة تخص أدب الرحلات.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، أنيس منصور، العصر الحديث، الأنواع الأدبية.

Abstract:
This article focuses on the importance of travel, its value among different literary genres , and its great role in the development and evolution of Arab society in many ways. We also mention

the most prominent traveler of the modern era, the writer Anis Mansour who is famous among prominent Arab writers. He is considered an encyclopedia of knowledge, thought and cultural influence, as his books have contributed to the consciousness formation of a whole generation and his production is characterized by the abundance and diversity. Here, it is necessary to highlight his significant contribution to travel literature, as he has provided an immense wealth of knowledge to enhance this field. Moreover, the author has numerous books related to travel literature.

Keywords: travel literature, Anis Mansour, the moderne era, literary genres.

المؤلف المرسل: عبابو مليكة، الإيميل: AMEL51228@GMAIL.COM

1.مقدمة:

عرف العرب الرحلات منذ أزمنة قديمة، تعود إلى ما قبل الإسلام، حيث كانت حياتهم تقوم على التنقّل والارتحال، إذ لا يكاد يستقر بهم المقام في منطقة حتى يرحلوا عنها إلى أخرى، بحثا عن الكلإ والماء، فضلا عن حركتهم الدائبة في الرعي والتجارة، فمارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها، وقاموا بالعديد من الرحلات التي جالوا من خلالها العالم في جميع الاتجاهات، حيث أبحرت سفنهم معظم الأماكن، وقد دوّن هؤلاء الرحالة رحلاتهم، واستمدّوا معانيهم وموضوعاتهم من تلك المشاهدات، وصاغوها بشكل فني خاص ، وكانت تلك الرحلات قد لعبت دورا مهما وفاعلا في تطوير المعارف الإنسانية المختلفة ، وعلى جميع الأصعدة والتخصصات على مرّ السنين وما زالت إلى يومنا هذا.

وازدهرت تجربة الرحالة العرب بين نخبة المثقفين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، وانخرطوا في تسجيل ملاحظاتهم العلمية، حول ما

قد رأوه في العالم الغربي الأوروبي على وجه الخصوص من تطوّر صناعي اقتصادي، اجتماعي، عمراني، والحريات والحقوق والمساواة، لذلك قدّمت الرحلات ميراثا ضخما، باعتبارها مزيجا بين الجغرافية، التاريخ، الأنثروبولوجيا، السيرة الذاتية، المعرفة، النهضة.

ومن هنا جاء عنوان بحثنا الموسوم " **الرحلات العشر لأنيس منصور دراسة وصفية توثيقية** " لتبيان ذلك، فأنيس منصور هو أديب رحالة فيلسوف مبدع، كثير الإنجاب، تعداد مؤلفاته حوالي مائتي كتاب، ونظرة عجلى على قائمة كتبه توضّح لنا تنوع موضوعاته واهتماماته، له إسهام في مجال القصة والمسرحية والترجمة والصحافة، كما له إسهام في مجال السياسة وكتابة السيرة والنقد وأدب الرحلة والدراسات العلمية وفيما وراء الطبيعة، لكن الفن الذي امتاز به بين معاصريه هو انشغاله بكتابة الرحلات واحتلاله مكانا مرموقا فيها.

ولابدّ من خلال تقديم بحثنا هذا أن نتطرّق إلى أهداف وهي: مفهوم أدب الرحلة إلى أهميّته وقيمته، ثم التعريف بحياة أنيس منصور وقراءة جميع رحلاته ودراستها، ولا يتسّنى لنا ذلك إلاّ من خلال طرح إشكاليات وهي: ماهي مكانة الخطاب الرحلي ضمن الأجناس الأدبية، وماهي أهمية هذه الرحلات، وماهي القيمة الجمالية التي أضافها أنيس منصور في رحلاته وبماذا امتازت.؟

وإن الحديث عن الرحلة والرحالة يقتضي منهجا وصفا تحليليا على الأساس أنه الأجدر بالإحاطة الى المؤثرات والسياقات الخارجية المحيطة بالنص من نوع حياة أنيس منصور ودوافع وقيمة ارتحاله.

2. مفهوم أدب الرحلة :

هو ذلك النثر الفني الذي يسجل فيه الأديب الرحالة كل ما شاهده من آثار ومدن وعجائب، أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان بأسلوب أدبي ممتع ومؤثّر وليس

وصفا تاريخيا أو جغرافيا فحسب. ويعرّف في معجم المصطلحات الأدبية بأنه «مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد». [1]

وعرّف حسين فهيم أدب الرحلة بقوله «وهذا وقد درج الكتّاب العرب على استخدام عبارة أدب الرحلات للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين وغيرهم التي يصفون فيها الأقوام والبلدان، والتي يذكرون فيها أحوال تجوالهم ودوافع رحلاتهم ...إلخ »[2]، ويقصد بأدب الرحلة في هذا القول الكتابات التي يصف فيها الرحالة البلدان وما يتصّل بها، باعتبار أن الكتابة هي الوسيط المعرّف بها.

لم يجد أدب الرحلات مكانة واضحة في نظرية الأدب، ولم تستوعبه نظرية الأجناس الأدبية ضمن طاقتها التصنيفية، وذلك لغياب رؤية فلسفية واضحة المعالم في النقد العربي قبل الانفتاح على النقد الغربي، لذا فالحديث عن أدب الرحلات لم يأخذ طابها معرفيا يندرج ضمن نظرية أو رؤية واضحة لمفهوم الأدب، وهذا ما أكّد عليه مؤرخا أدبيا كبيرا مثل شوقي ضيف حيث لا يرى فيها إلاّ كونها أدب رحلات، مثل الجغرافية والبرية والبحرية في البلدان، ولا يرى في الرحلات البرية إلاّ كونها مغامرات تحوي كثيرا من المعلومات عن البحار والحيوانات والأسماك و أصدافها والأقوام التي يسكنون على شواطئها، كما أنه يقتصر البعد الأدبي في هذه الرحلة، على أنّها تأتي في أسلوب قصصي بديع، يؤكّد الواقع أحيانا وينشئ لنا عوالم خيالية أحيانا أخرى[3].

وعرّف حسين فهيم أدب الرحلة بقوله «وهذا وقد درج الكتّاب العرب على استخدام عبارة أدب الرحلات للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين وغيرهم التي

يصفون فيها الأقوام والبلدان، والتي يذكرون فيها أحوال تجوالهم ودوافع رحلاتهم ...إلخ »[4]، ويقصد بأدب الرحلة في هذا القول الكتابات التي يصف فيها الرحالة البلدان وما يتصّل بها، باعتبار أن الكتابة هي الوسيط المعرّف بها.

لم يجد أدب الرحلات مكانة واضحة في نظرية الأدب، ولم تستوعبه نظرية الأجناس الأدبية ضمن طاقتها التصنيفية، وذلك لغياب رؤية فلسفية واضحة المعالم في النقد العربي قبل الانفتاح على النقد الغربي، لذا فالحديث عن أدب الرحلات لم يأخذ طابها معرفيا يندرج ضمن نظرية أو رؤية واضحة لمفهوم الأدب، وهذا ما أكّد عليه مؤرخا أدبيا كبيرا مثل شوقي ضيف حيث لا يرى فيها إلاّ كونها أدب رحلات، مثل الجغرافية والبرية والبحرية في البلدان، ولا يرى في الرحلات البرية إلاّ كونها مغامرات تحوي كثيرا من المعلومات عن البحار والحيوانات والأسماك و أصدافها والأقوام التي يسكنون على شواطئها، كما أنه يقتصر البعد الأدبي في هذه الرحلة، على أنّها تأتي في أسلوب قصصي بديع، يؤكّد الواقع أحيانا وينشئ لنا عوالم خيالية أحيانا أخرى[5].

3. قيمة أدب الرحلة وأهميته:

تبرز أهمية الرحلات فيما يقدّمه الرحالة من معلومات مفيدة عن النواحي المختلفة في الحياة، ف ي مختلف جوانبها سواء كان ذلك في الجانب السياسي أو الديني أو الفكري أو الاجتماعي أو الأدبي، فهي منابع ثرية في مختلف العلوم، بحر من المعارف والاكتشاف، سجل حقيقي لمظاهر الحياة المختلفة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور، ويعتبر أدب الرحلات من الفنون التي ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الفرد والأمم، وهذا ما يؤكده حسني محمود حسين في معرض قوله « إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد، ومؤرخي الآداب الأديان والأساطير،

فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور››[6].فهي تعتبر ذات قيمة معرفية مهمة كونها تعبّر عن التراث، وتعبّر عن مصادر ثريّة ومنابع لمختلف العلوم والحضارات.

وتكمن أهمية الرحلات في قيمتين: أولّهما القيمة العلمية والثانية القيمة الأدبية.

أ –**القيمة العلمية:** تبرز قيمة الرحلات في وصف الجوانب التاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية للشعوب، وتصوير حياة الناس اليومية في المجتمع «لذا كانت للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه والآخرين››[7]. ويرجع محمد الخضر حسين الفضل لكتب الرحلة في أنها حفظت جانبا عظيما من التاريخ، كما ساهمت في توطيد الصلات بين الشعوب، وحصول التعارف بينها، إذ أن الرحالة المجتهد لا ينزل بوطن «إلاّ إذا عاد إلى وطنه، ووصف حال الأوطان التي نزل بها، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها أو نزل بها على خبرة من حال الشعوب الأخرى››.[8]

ب– القيمة الأدبية: نعني بها أنّ كتب الرحلات تأخذ طريقها إلى عالم الأدب لما فيه من صدق التجربة الشخصية والتصوير الحي، مما يجعلها قريبة من عالم القصة، والجانب الأدبي في ميدان الرحلة «يعنى برصد الواقع ونقل الصور على نحو يحقق التأثير الوجداني، أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه، فيجتلي تلك المشاهد والآثار والصور، وهذا البعد هو الذي يملأ النفس متعة، ويجعل للرحلة سمة أدبية، بدلا من أن تقف عند حدّ التسجيل والتدوين والجمود ››[9]. وتتجلى القيمة الأدبية للرحلات فيما يقول حسني محمود حسين «فيما تعرض في موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني.››.[10]

وإن أبرز ما يميز أدب الرحلات تنوع الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار والوصف وغيره، مما حدا بشوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب «خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة. »[11]

وإن أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية واضحة جليّة، بحيث يوجد فيها السرد والنزعة القصصية والأبيات الشعرية وجمال الألفاظ وحسن التعبير والأسلوب الأدبي البليغ.[12]

وإلى جانب قيمة أدب الرحلات من الناحية العلمية والأدبية، فبإمكان أدب الرحلة أن يحقق قيمة أخرى لا تقل أهمية من حيث القيمتين السابقتين ألا وهي : **القيمة التعليمية**، فإذا كان الرحالة يقدم لنا معلومات تاريخية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وتكون بمثابة عون لكل عالم في مجاله واختصاصه من جغرافي ومؤرخ اجتماعي، فإن هذا الرحالة يستفيد هو الآخر من هذه الرحلة، إذ يتعرّف على الكثير من المعلومات التي تخص هذا البلد الذي زاره من خلال مخالطته للناس، كما أنه يستفيد من العلماء الذين جالسهم وتحاور معهم، مع اكتسابه للخبرة والتجربة، إذ يحصل على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين، في التربية وأساليب التعليم والتهذيب، نظرا لما يصادفه أحيانا من المصاعب، وما يؤكد على ذلك أن الرحالة حين يعود فإنه يعمل في التدريس، كما أنه يكلّف بالقضاء ومهام أخرى، وهنا تبرز الأهمية التعليمية لأدب الرحلات، فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه والآخرين.[13]

وبهذه القيمة يكون لأدب الرحلات الأهمية من ثلاث نواحي وهي القيمة العلمية والقيمة الأدبية والقيمة التعليمية، وتكمن تلك الفائدة فيما يقدمه الرحالة للقارئ من معلومات وثقافة واسعة، مما يعني أن له أهمية كبيرة في تنمية درجة الوعي

والفكر والثقافة لدى القارئ والباحث والمؤرخ في مختلف جوانب الحياة، ومنبع لمختلف العلوم والحضارات.

4. أدب الرحلة لأنيس منصور :

الرحلة تعني الانتقال من مكان لآخر، قصد تحقيق غايات معينة، سواء أكانت تلك الأهداف مادية أو معنوية، وقد عرفها العرب منذ أقدم العصور، وهي متصلة بتاريخ الإنسان، وأول رحلة قام بها الإنسان هي رحلة من بساتين الجنة إلى سطح الأرض، والتي أشار إليها القرآن في قوله عز وجلّ ﴿قُلْنَا اِهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [14]، وقد اهتم الباحثون بفن الرحلة وأولوا لها عناية عظيمة في سائر العصور، ودرسوا مكانتها بين العلوم الإنسانية، ودورها في الكشف عن التأثير والتأثر في حياة الانسان ومعرفة أرضه، وتتبعوا نشأة الرحلات وتطورها، إلى أن أصبحت مستقلة بالتأليف، وتعرفوا على روادها الأوائل، الذين شدّوا الرحال إلى مختلف بقاع العالم، منقبين ومبشرين وحاملين مشعل المعرفة، وحسب الباحث أن يقف من خلال مؤلفاتهم على دورهم العلمي المتميّز بمصداقية، والاجتهاد والجمع بين مختلف المعارف والمهام.[15]

1.4 أنيس منصور في سطور:

لا شك أنه ما إن يأت ذكر الرحلة وأدبها في العصر الحديث، إلاّ ونسلّط الضوء على أحد روادها وكتّابها، وهو الرحالة أنيس منصور، أديب وكاتب مصري كبير له سمعة طيبة على الصعيد العالمي، فيلسوف وأديب نال شهرة بأفكاره الفلسفية، أتقن عدّة لغات، واطلع على ثقافات متنوعة، حاز على العديد من الجوائز الأدبية في مصر وخارجها، وقد خلّد في جبين التاريخ مؤلفات تبلغ مئاتي كتاب، حيث أسهم أنيس منصور بنصيب وافر في أدب الرحلات، والتي جاب فيها أنحاء العالم شرقا وغربا، ودوّنها في كتب كثيرة وهي : "حول العالم في 200 يوم"، "بلاد

الله ..خلق الله"، "أعجب الرحلات في التاريخ"، اليمن ذلك المجهول"، أطيب تحياتي من موسكو"، "غريب في بلاد غريبة"، "أنت في اليابان وبلاد أخرى"، "أيام في الجزائر البيضاء"، "أوراق على الشجر"،" لعنة الفراعنة".

سافر أنيس منصور كثيرا، وكتب العديد في أدب الرحلات، فقد عبّر عما رآه بعمق وروعة، وعمّا شاهده بقدرة وإبداع وسهولة، فهو رائد له مدرسة متميزة في هذا الفن الأدبي، وهذا ما أكده سيد حامد النسّاج بقوله «لكاتب المصري الذي جعل الرحلة همه باللّيل والنهار، وحقّق عن طريقها انتصارات صحفية، ونال بسببها جائزة الدولة التشجيعية، وألّف عددا من الكتب تدور حول رحلاته الكثيرة، وقدّم من خلالها معلومات وشخصيات وطرائف متنوعة، آداته في ذلك لغة سريعة خاطفة وجمل قصيرة جدّا، وعبارات خفيفة لا عمق فيها، ولا تحليل يرهقها، ومع أنه كتب الكثير من المقالات والقصص والدراسات والمسرحيات والتراجم الذاتية، فإنه شهر عند الجمهور القارئ محليا وعربيا بأنه كاتب رحلات، وصاحب خبرة في نقلها. ››.[16] وقد وضع اسم أنيس منصور ضمن قائمة أهم وأعظم كتّاب أدب الرحلة في مصر بالقرن العشرين، وهذا ما وضّحه إبراهيم عبد المجيد في قوله أن أنيس منصور كان واحدا من الكتّاب الكبار، يستطيع بأسلوبه البسيط توصيل المعلومة للقارئ ببساطة، وبإمكانياته الكبيرة كان يقدّم المعلومة للثقافة العربية في منتهى السهولة، كما أنه قدّم لنا ثقافات مختلفة ومختارات من الأدب العالمي، إذ كان موسوع الثقافة لأنّه عايش أجيالا متعاقبة من طه حسين، كما أنه خفيف الروح وكانت علاقاته الاجتماعية جيدة.[17]

كان الأديب أنيس منصور مولعا بالقراءة والمطالعة منذ نعومة أظافره، ولاهمّ له إلاّ شراء الكتب وقراءتها، كما كان والده على حظ من الوجاهة والثقافة، وإليه يعزى اهتمام أنيس بالقراءة منذ بواكير حياته يقول في ذلك «إنّه كان في بيتنا عدد

كبير من الكتب...كانت دائما في أماكن مختلفة...في غرفة النوم...على المقاعد في الأركان...تحت السرير في صناديق وفي مقاطف فوق السطوح.. ››[18]

وتعدّ القراءة والكتابة الجناحين اللذين ظل يحلّق بهما أنيس منصور طوال سبعة وثمانين عاما، فقد تعلّم أنيس من أستاذه أرسطو أن الدهشة هي بداية المعرفة، فالإنسان يندهش وبعد ذلك يتساءل، وبعد التساؤل يفتش عن الإجابة وفي ذلك يقول «لا أزال في مرحلة الدهشة فلا نهاية للمعرفة، القراءة عندي هي ممارسة سباحة المسافات الطويلة والغوص في أعماق الكتب، أصعب الكتب و أطولها وأعقدها في ثماني لغات، أنزل البحر ولا أخاف الغرق، وعلّمني حب السفر متعة التنقل، ولذّة التغيير، وجمال الحركة، أنا الذي أتنقل خفيفا من مكان إلى مكان، من كتاب إلى لآخر، من مفكر إلى أديب إلى موسيقار، إلى كاهن إلى راهب ، إلى شيخ، وكما يقلّب الإنسان الكتب بأصابعه، فإن كتاب المعمورة أقلّبه بقدمي أو بعيني ، فأنا على سفر دائم وأنا أتغرّب في بلاد غريبة، لا انتهت دهشتي ولا أحسست بأني قريب الآخر أو من أحد، وإنما غريب في كل زمان ومكان.. ›› [19]. فاهتمام أنيس منصور بالقراءة ،وحبّه للآداب والفنون والفلسفة، وتعلّمه للعديد من اللغات الإنجليزية والألمانية والإيطالية واللاتينية والفرنسية والروسية، لعبت دورا مركزيا في تشكيل وعيه، وانفتاحه على الثقافات الأخرى، وهو ما فتح له الباب للطلاع على ثقافات عديدة، كما كان عنصر قوة له في الحياة الصحفية والثقافية، حيث ترجم العديد من الكتب الفكرية والمسرحيات القادمة لنا من عدّة ثقافات أخرى، وهو ما ساعده على التنقل في العديد من بلدان العالم، كما جعله أحد أبرز من قدّموا أدب الرحلات في تاريخ الثقافة العربية.

2.4 أنيس منصور ومساهمته في أدب الرحلة:

إن اسهامات أنيس منصور في مجال الفكر والأدب غزيرة ومتنوعة، لكن الفن الذي امتاز به بين معاصريه هو انشغاله بكتابة الرحلات، حيث سافر ودار الدنيا في كل اتجاه، وكتب الكثير في أدب الرحلة، وعلى هذا الأساس ساهم في تطوير هذا الفن، وترك في هذا المجال بصمات قويّة لها أثر على ذاكرة التاريخ ووجدان الدّارسين، وعرف بأبرع كاتب للرحلات من قبل الدارسين والأدباء، يقول أنيس منصور في مقدمة كتابه "أعجب الرحلات في التاريخ" « وكل صاحب يروي ما شاهده على طريقته وبأسلوبه...لكن من الضروري أن يكون صادقا، أن يضع الصدق في براويز فنية، والذي يقرأ رحلات جيلفر للكاتب الساخر سويفت، يجد هذه العبارة في نهاية الكتاب" لو كان الأمر بيدي لأصدرت قانونا يحتّم على كلّ رحالة، أن يقسم بالله العظيم أن يقول الحق ولا شيء إلاّ الحق، قبل أن ينشر ما رأى وما سمع ››...[20]

وقد ذكر أنيس منصور أن هناك نوعين في كتابة الرحلات، الأولى هي التي يكتبها المؤلّف، وتكون عبارة عن تسجيل وتحليل لوقائع تاريخية أو جغرافية أو علمية أو علمية أو فلكية، وهنا لا يمكن الحكم على المؤلّف أنه أديبا، وتعدّ رحلته وصفا تاريخيا أو جغرافيا فحسب، أما النوع الآخر وهو المؤلف الذي يكتب عن الرحلات، ويسجل خلال كتاباته انطباعاته حول الرحلة وهو ما يضيف إليها الجمال، وتكون بأسلوب أدبي ممتع ومؤثر.

وتنطلق رحلات أنيس منصور من عدّة مرتكزات فكرية وجمالية « فالذي يسافر إلى الأماكن البعيدة يريد أن يعرف، يريد أن يفهم...يريد أن يرى الجانب الآخر من الجبل أو النهر أو من البحر، والجانب الآخر من الإنسان ومن تجاربه من أجل الحياة والتقدم، وهناك فرق بين أن تسافر لترى البلاد، وبين أن تسافر لتعرف الناس، والذي يسافر كثيرا يعرف الكثيرين... ولكنّه يصادق القليلين...والذي

يسافر إلى بلد أخرى، ويعود ويحدّث أهله، عمّا رأى فهو فيلسوف، والذي يروح ويجيئ ولا يقول، إنّه صعلوك فقد استمتع واكتفى، وكثيرون راحوا وجاؤوا، وجاؤوا كما راحوا، ولم يتغير منهم شيء، وسبب ذلك أن نفوسهم صماء، لم تتفتح على شيء ولم يتسلل إليها شيء ›› [21]

إن المسافر في رأي أنيس منصور يجب أن تكون له أذنا حمار ليسمع كل شيء، وأن يكون له فم خنزير ليأكل أي شيء، وأن يكون له ظهر جمل ليتحمّل أي شيء، وأن تكون له ساقا معزة لا تتعبان من المشي، وأن يكون له حقيبتان إحداهما امتلأت بالمال والثانيّة بالصبر..[22]

ومنه نشير إلى قائمة كتبه التي تدخل في أدب الرحلات ألا وهي:

1/ حول العالم في 200 يوم: يعد أيقونة من أيقونة أدب الرحلات، والكتاب الأشهر في مسيرة أنيس منصور، صدرت الطبعة الأولى منه عام 1963 بمقدّمة لعميد الأدب العربي طه حسين، رصد فيه أحوال العالم وقتها من وجهة نظر صحفي مصري، ذهب في رحلته حول العالم، فسجّل ودوّن الملاحظات، وتعرّف على العادات والتقاليد، واستخلص الحكمة من مواقف عادية، وصحب القارئ إلى أغرب الأماكن في الهند وسيلان و سنغافورة و أستراليا واليابان و الفلبين وهونج كونج، إلى الولايات المتحدّة الأمريكية وهاواي والكثير من الرحلات في دول أخرى، وصاحب الفكرة الأصلية هو **جول فيرن**، مؤلّف كتاب" **الطواف حول الأرض في 80 يوما**"، فقد ذكر محمود تيمور في مقدمة كتاب حول العالم في 200 يوم، أن كتاب أنيس منصور قد أعاد إلى ذاكرته كتاب جول فيرن حيث يقول «والشيء الباعث على الحيرة هنا هو، كيف استطاع جول فيرن إتمام طوافه في هذه المدة القصيرة، وهو يتخذ وسائل المواصلات القديمة، من بواخر بدائية، إلى فيلة بطيئة الخطا، إلى نعال غليظة تعوق السفر، على حين استنفذت رحلة أنيس منصور أكثر من ضعف هذه

المدّة، وهو الذي لا يترك في تنقلاته طائرة إلاّ ليستقل أخرى، إن هذا لحقا لغز، وما أحسب أن حلّه بالأمر اليسير. ›› [23]. أنيس منصور جعل من رحلته ضعف مدة رحلة جول فيرن، جال فيها بلدانا لا تحصى، وأعطانا معلومات لا تقدّر بالمال، جغرافية البلدان، عادات وطباع أهلها، الشوارع والبيوت والمحلاّت والمواقف الطريقة والآلاف من الأشياء.

عرض الكتاب معلومات عن الدول التي زارها خصوصا دول شرق آسيا، وكتب عمّا أعجبه في هذه البلاد من تقاليد وعادات مختلفة وتشابهها مع عادات الدول الأخرى، كما تحدّث عن اعتزازه بكونه أوّل صحفي في العالم أجرى مقابلة مع رئيس دولة التبت، الحائز على جائزة نوبل للسلام، ثم أخذ صورة معه وعي معروضة في صفحة106 من هذا الكتاب، وخلال رحلته إلى اليابان تحدّث عن اللؤلؤ الصناعي المزروع الذي اكتشفه ميكو موتو، وأجرو أول عملية لصيد اللؤلؤ.

وقد ذكر في الكتاب عشرين عاما من حياة الزعيم أحمد عرابي، لا يعرفه أحد وقضاها في المنفى هناك في جزيرة سيلان لم يقربه أحد، ولم يتحدّث إليه أحد، لم يكتب عنه أحد، ويتساءل المؤلف هل تعرف أن العرابي هو الذي أدخل الطربوش إلى الجزيرة، وهل تعلم أن المسلمين يرتدونه حتى اليوم، وهل تعلم أن عرابي هو الذي أدخل الزي العربي إلى الجزيرة؟[24]

فصول هذا الكتاب رحلات متواصلة، سواء أكانت في آفاق الأرض المحدودة، أم كانت في العوالم الفكرية التي ليس لها حدود «فأنيس منصور ركب البغال في أعالي الهملايا، وركب النفاثة من هوليود إلى واشنطن، وركب الأفيال وركب الزوارق وسط مياه مليئة بالأفاعي والتماسيح في أقصى جنوب الهند، وأكل الموز بالشطّة في سنغافورة، وشرب الشاي بالملح في إندونيسيا، وأكل الأناناس مع الغربان في سيلان، ولقد انتقل من معبد إلى حانة ومن حانة إلى غابة، إلى قمة

الجبل، إلى طائرة فوق محيط أثناء عاصفة والناس نيام، والظلام حالك فوق السحاب، وارتدى الدولي في كيرلا، ولبس الكيمونو في طوكيو، ومشي ربع عريان هونولولو، وكان له أصدقاء من أصحاب الملاليم، وأصدقاء من أصحاب الملايين والبلايين ››[25].

فقد كان العالم بالنسبة للأديب أنيس منصور كتابا عريضا طويلا غني بألفاظه ومعانيه يقول «كنت أقرأ بعقلي وقلبي، وأقلّب الصفحات بيدي ورجلي، وكنت أضع حقيبتي الوحيدة في مهب العواصف والطائرات، دخلت المستشفيات في إندونيسيا، وفي اليابان دخلت مستشفى الولادة، وفي أستراليا دخلت مستشفى الملكة، وفي أمريكا دخلت عيادة كل أطبائها من المصريين، كنت أكتب ليلا ونهارا، وعنما أجد متسّعا من الوقت كنت أكتب مذكراتي ›› .[26]

وفي نهاية هذا الكتاب يصف لنا عودته إلى القاهرة، في اللحظة التي هبطت إلى أرض المطار كانت شفتاي في قدمي، فقبلت أرضا حبيبة عزيزة، وكانت القبلة هي في الوقت نفسه نقطة البداية والنهاية، وفي وقت واحد، فمن هنا بدأت دورتي حول الأرض مارا بالهند، وهنا أنهيت دورتي حول الأرض، إنّ كل الذي استطعت أن أعرفه هو أنني أستطيع الكثير، وكل إنسان يستطيع أن يأكل رغيفا في اليوم، وأن يعمل عشرين ساعة دون أن يتعب، ففي كلّ إنسان قوة هائلة لا يستطيع أن يستغلّها.[27]

2/ أعجب الرحلات في التاريخ: صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1972، ويأتي في 723 صفحة، ويعدّ هذا الكتاب خلاصة قراءات كثيرة طالعها أنيس منصور في عالم الرحلات، وذكر أنيس منصور في مقدمة كتابه « هناك ثلاثة أنواع من الرحلات، أن تسافر، أن تقرأ كتابا، وان تقرأ كتب الرحلات، وهناك فرق بين أن تسافر لترى البلاد، و أن تسافر لتعرف الناس، والذي يسافر كثيرا يعرف الكثيرين

لكنّه يصادق القليلين، وكثيرون راحوا وجاؤوا، وجاؤوا كما راحوا، لم يتغير منهم شيء، وسبب ذلك أن نفوسهم صمّاء لم تنفتح على شيء ، والمثل القديم يقول "حمار سافر، فلن يعود حصانا"، وعندما شكى أحد تلامذة سقراط من أن السفر لم يفده، ولم يغيره، قال له سقراط: من الطبيعي ألاّ يفديك السفر لأنك سافرت مع نفسك. ›› .[28] لهذا كانت أجمل الرحلات هي التي نقوم بها في رحلات الآخرين، نرى بعيونهم، ونسمع بآذانهم، ونرتمي في أحضانهم، ونمشي على الدّنيا معا، ولذلك كانت كتب الرحلات في أعماقنا وأعماق الآخرين مع بعض.

أخذ أنيس منصور في هذا الكتاب دور المؤرخ والمعلّق أكثر من دور الرحالة، وذلك من خلال رصده لأغرب رحلات التاريخ، وتعليقه عليها لخفة ظلّه المعهودة وملاحظاته القيّمة، وكذلك إشارته لوقائع أخرى عاصرها يمكن أن تسير في نفس سياق الرحلات الغرائبية للمستكشفين، أمثال ماركو بولو والمؤرخ هيرودوت، بالإضافة إلى الغزاة كالإسكندر الأكبر، وحتى المهاجرين والمجانين الذين قرروا خوض تجارب مختلفة عن سابقيهم، وسخر الناس منهم في عصرهم، لكن التاريخ خلّدهم فيما بعد. كما عرض لرحلات كل من ابن بطوطة، ابن جبير، ورفاعة الطهطاوي. واختار بعضا من الرحلات القصيرة في الزمان والمكان على السواء مقل رحلة السوري إسماعيل النابلسي صاحب كتاب " التحفة النابلسية في الرحلة الأندلسية "، التي سجّل فيها رحلته بين مدينتي دمشق وبيروت في القرن السابع عشر، وأهمية هذا الكتاب كما ذكر أنيس منصور أن مؤلّفه يفعل بالضبط ما لا يفعله أي رحالة، إنه لا يتحدث عما رأى من الأشياء أو الناس لأن هدفه الذي تمليه عليه طبيعته وثقافتها الدينية هو الإسهام في الحياة الروحية ومناقشة أمور العقيدة والقيام بدور المفتي، ولهذا لم يستفد من روح الرحلة شيئا مهما، حتى عندما التفت إلى الآثار القديمة وبروز بعلبك، كان منتهى جهده أن يجد أعمدتها. ومن الرحلات التي ذكرها

أنيس منصور أيضا رحلة فريا إستارك من خلال كتابها" رحلة في وادي الحشاشين"، وكذلك رحلة "ميشل دي"، والطفل الأوربي فان بوست الذي قام برحلة إلى الأدغال الافريقية ودفاعه عن قضية الأفارقة الذين تعرّضوا للإبادة من طرف البيض، وإصراره في الوقوف في صفهم.[29] في هذا الكتاب ينتقي أنيس منصور الكثير من تجارب السفر والرحلات للعديدين، مبرّرا ذلك مواقفهم أثناء أسفارهم، ومجمل العظات التي وضّحها أثناء السفر.

وفي الجزء الأخير من هذا الكتاب يحكي أنيس منصور عن رحلته الشخصية إلى إيران ابّان الإمبراطورية وقبل ثورة الخميني، وذلك بالاحتفال بمرور خمسة وعشرين على تأسيس الإمبراطورية الفارسية على يد كوروش، حينما دعا الشاه محمد رضا البهلوي ملوك وحكّام الأرض لاحتفال لم يشهد له العالم مثيلا في البذخ والترف من قبل، حتى أن أنيس منصور قال إن الملاعق التي كانت تقدم للصحفيين لتقليب الشاي كانت مصنوعة من الذهب، وهي رحلة غريبة عاشها بنفسه قبل أن تنهار الإمبراطورية كلّها فيما بعد.

وعليه تحدّث أنيس منصور في كتابه "أعجب الرحلات في التاريخ " عن رحلات نادرة الحدوث الدلالة، من أوربا لإفريقيا لأمريكا شمالها وجنوبها، وهذا ما يحدث الدهشة لدى المتلقي، وهو أمر طبيعي من باب أدب الرحلات لأنيس منصور، إذ يعدّ هذا الكتاب تأريخا مهما وممتعا لهذا اللون الجميل والمتميز في أدب الرحلات، وفي الأدب الإنساني كلّه.

3 / غريب في بلاد غريبة: يحتوي على أربعة كتب في مجلّد واحد وهي: بلاد الله خلق الله، أطيب تحياتي من موسكو، اليمن ذلك المجهول، أيام في الجزائر البيضاء، يخبرنا أنيس منصور عن الأشياء التي رآها في رحلاته الكثيرة، وعن المواقف التي حدثت معه في تلك البلاد، في كل من ألمانيا، إيطاليا، الجزائر،

موسكو، واليمن وبلاد أخرى زارها وحدثت معه أشاء جمعت بين الضحك والسخرية، وأحيانا تدعوك إلى التأمل، وبعضها تجعلك تتساءل لماذا يفعل الناس هذه الأفعال، وهذا ما يدعوك إلى الغرابة والتعجّب.

1/ بلاد الله خلق الله: يتحدّث أنيس منصور عن رحلته مع زملائه على متن طائرة عسكرية إلى الكونغو، والتي تعتبر أكبر عزبة عرفها الإنسان، حيث قضت سنوات طويلة تحت الاستعمار البلجيكي، فيطوف خلال رحلته العديد من الدول الأوربية ألمانيا وايطاليا والنمسا وسويسرا، يتعرض لعديد القضايا في الفن والأدب والسياسة [30]. في رحلته إلى ألمانيا يجد الاعتزاز الشديد للشعوب الألمانية بثقافتها ولغتها والنهضة الصناعية، ثم زيارة الكاتب لمنزل(بتهوفن) والشاعر (جنيه)، ثم ينتقل إلى زيارة إيطاليا فيتعرّض لتقاليد الشعب الإيطالي، من خلال بغض المواقف الشخصية، وحب الشعب الإيطالي للاستمتاع بحياته وعواطفه، ثم النمسا حيث الموسيقى والناس الناعمة وعشقهم للموسيقى الكلاسيكية، ثم يسافر إلى كوبا والتقاء الكاتب بالزعيم الكوبي، وفترة الثورة الكوبية ضد أمريكا للاستقلال عنها، وسوء استغلال أمريكا لكوبا، وأخيرا ينتقل إلى سويسرا حيث الدقة وصناعة الساعات، والشعب السويسري الواعي الذي يهتم بالصحة ودائم النظافة.

2/ أطيب تحياتي من موسكو: يتحدّث الكاتب عن رحلته إلى روسيا والتي كانت مستعمرة من قبل الألمان، حيث صوّر لنا الأماكن فيها، وكان مرشدا في توضيح جزء من التاريخ الأدبي الروسي، وقف عند الأشياء الغريبة التي تخص هذا البلد، وحاول أن يدور حول هذه الأشياء لعلّها تتحرّك وتجيب عن تساؤلاته، وكان سفره من موسكو إلى ننجراد هو انطلاق ضد التاريخ، فالتاريخ بدأ من لننجراد واتجه إلى العواصم الأخرى، فقد كانت لننجراد هي العاصمة السياسية والثقافية، ومنها

قامت ثورة وراء ثورة، حتى جاء لنين وأشعل الثورة الكبرى، وتحولت موسكو إلى عاصمة للاتحاد السوفياتي [31].

3 / اليمن ذلك المجهول: من خلال هذا الكتاب استطاع أنيس منصور أن يميط اللثام، وأن يكشف النقاب عن لغز هذه البلاد، ويفتح حدودها للقارئ، ويدّق الأبواب بعنف على أبوابها، ليفتح أهلها أبوابهم مرحبين بهذا الضيف العزيز، الذي يقرأ أسرارهم من عيونهم، ويقدّموا له فنجانا من البن اليمني، تحية لهذا الرجل الذي كشف لغزهم الغامض.[32]

4/ أيام في الجزائر البيضاء: رسم الفنّان أنيس منصور خلال رحلته إلى الجزائر لوحات كشفت وجوها أخرى للجزائر، تمثّلت على جذور متغلغلة في أعماق النفس البشرية، صوّر فيها الدروب والبيوت والدكاكين، والتي يجدها كل واحد منا في بيئته العربية، وتعطي للآخرين انطباعا يميّزها عن غيرها، وتحدث عن المرأة بزيها وتقاسيم وجهها، وهي التي ساهمت في تحرير أرضخا من الاستعمار، قاتلت وتشرّدت في سبيل وطنها، كما ذكر التقاليد العريقة الخاصة بالجزائر، وعلى الهوية الواحدة التي تجمع بين كل الشعوب وهي هوية الوطن، حيث أعطت الجزائر لأنيس منصور رؤية شمولية، وأعطت الطبيعة لنفسها دفة واحدة، وفتحت للقارئ والمتأمل تلك الحركية في تفهم الأشياء.[33]

وإجمالا عن كتابه غريب في بلاد غريبة إن أنيس منصور قدّم لنا الكثير من المعلومات التي تخص ثقافات الدول التي زارها ومدى اختلاف ثقافة كلّ دولة عن أخرى، حيث وصف الكاتب المكان والزمان في أدق تفاصيله ومعلوماته التاريخية والجغرافية والسياسية والثقافية، وتحدث عن الناس أشكالهم وألوانهم وطريقة تفكيرهم.

8/ لعنة الفراعة: بدأ أنيس منصور كتابه حول الفراعنة، وحكى لعنتهم وأغرب اللعنات، هي للملك توت عنغ آمون، وتساءل هل هناك حقا لعنات أم مجرد

حكايات رويت، ثم انتقل بعد ذلك للاستدلال محاولا ما جاء به العلم فيما بعد حول تلك الروايات، وراح أنيس ينبش في ذكريات ملوك وادي النيل، حتى وصل إلى أهم رواية في الكتاب وهي رواية الطبيب الفرنسي المتنبئ، وربط الشخص بقوة الفراعنة، ثم انتقل إلى أهم الكنوز وهو العقل البشري، واعتبره كنز ذو قدرات خارقة ولا نهائية.

9/ أوراق على الشجر: ذكر أنيس منصور المواقف والشخصيات التي مرّ بها ومدى تأثيرها على حياته، ومقابلته الشخصيات المهمة، ودرس حقائق علمية مدهشة عن الفضاء الخارجي، وتواصل الكائنات الحية مع بعضها بقوة خفية أو غير معلومة، وتحدّث عن الشعراء والفلاسفة، ومعهم مزيجا من موضوعات العصر، شمل وجمع الكتاب بين الفن والأدب والحب والسفر والطفولة والتاريخ.

10/ أنت في اليابان وبلاد أخرى: يصوّر الكاتب اليابان التي تزخر في كل مجلات الصناعة والفن، والشعب الياباني مبدع كثيرا في عمله، وكأن أنيس منصور يريد أن يقول لنا إن هذا هو الطبيعي، إضافة سفره إلى ربوع مدن ودول عدّة منها الفلبين، وكوريا الجنوبية، تايلند، لبنان، قبرص، النرويج، لكسمبورج، ما بين رحلات سياسية ورحلات فكرية وأدبية وسياحية، كما خصّص جزء كبير للبنان في تاريخه وواقعه المعاش.

5. خاتمة:

تتمثل في أهم النقط وهي كالتالي:

تميز أدب الرحلة بالغنى والشمولية في توظيف الأشكال الأدبية وغير الأدبية.

الرحلة فن أدبي متفتح على كافة الأنواع السردية الأخرى.

يمكن إجمال القول: إن أنيس منصور هو أعظم قارئ يكتب، ومن أسراره البساطة في الأسلوب، لذلك وصل إلى ملايين القراء، حيث حقّق غزارة في التأليف، إذ شهدت مؤلفاته تطورا في الموضوع والرؤية والهدف واللغة التي يكتب بها، والشكل

الفني الذي يقدّم من خلاله، فنجده تفرّد بلون خاص تميّز به، فتمثلت كتاباته وفلسفته العبقرية بتصوير مالم يره الكثيرون من خلال أسلوب شيّق، كأن من يقرأ له يطوف البلدان والأقطار، ويمعن النظر في وجوه مواطنيه، فيتعامل مع الشعوب المختلفة بفكره المستنير، وعبقريته النافذة للعقول والقلوب، لكونه ينقل الأحداث والثقافات الخاصة بالشعوب ليغترف منها القارئ فكرا شيّقا ومبادئ مبشرة وسياسات جديدة.

6.المراجع

[1]–مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص577.

[2]– حسين محمد فهيم، أدب الرحلات دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي، سلسلة عالم المعرفة، رقم138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1989، ص19.

[3]– ينظر، عبد العليم محمد إسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، عام الخضرة، د.ط، 2018، ص05.

[4]– حسين محمد فهيم، أدب الرحلات دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي، سلسلة عالم المعرفة، رقم138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1989، ص19.

[5]– ينظر، عبد العليم محمد إسماعيل علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، عام الخضرة، د.ط، 2018، ص05.

[6]– حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص06.

[7]– حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص19

[8]– محمد الخضر حسين، الرحلات، تح: على الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، د.ط، 1976، ص17.

[9]– السيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص07.

[10]– حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص10.

[11]– شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1956، ص06.

[12]– ينظر، فردوس أحمد البت، مقالة أهمية الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة كيرلا، الكتاب الثاني العدد الثاني، (يناير/مارس 2016)، ص25.

[13]– ينظر، نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات المغربية والأندلسية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تقديم: أ–صلاح جرّار، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص232.

[14]– الآية (38) من سورة البقرة برواية ورش عن نافع.

[15]– ينظر، حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص05–05.

[16]– السيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص113.

[17]–ينظر، سراج أحمد، أنيس منصور ومساهمته في فن القصة القصيرة، أطروحة قدّمت إل قسم اللغة العربية بجامعة دلهي لنيل درجة الماجستير الفلسفة، إشراف محمد نعمان خان، 2018، ص60.

[18]– أنيس منصور، البقية في حياتي، مكتبة نهضة مصر، د.ط، 2003، ص113.

[19]– مجدي العفيفي، آخر مائتي يوم مع أنيس منصور، (مذكرات، مراجعات، اعترافات)، دار أكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص29.

[20]– أنيس منصور، أعجب الرحلات في التاريخ، ج1، سلسلة جدران المعرفة، ط1، 1972، ص08.

[21]– مجدي العفيفي، آخر مائتي يوم مع أنيس منصور، ص79.

[22]– ينظر، أنيس منصور حول العالم في 200 يوم، مقدّمة الطبعة الأولى، سلسلة جدران المعرفة، 1962، ص16.

[23]– أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، مقدّمة الطبعة التاسعة بقلم محمود تيمور، 1972، ص31.

[24]– ينظر، أنيس منصور حول العالم في 200 يوم، ص160.

[25]– محمود فوزي، أنيس منصور ذلك المجهول، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، 1986، ص51.

[26]– أنيس منصور حول العالم في 200 يوم، ص09.

[27]– ينظر، أنيس منصور حول العالم في 200 يوم، ص639.

[28]– أنيس منصور، أعجب الرحلات في التاريخ، ص04/03.

[29]– ينظر، محمد رمضان، أنيس منصور سندباد العصر، دار الجمهورية للصحافة، د.ط، 2011، ص125/124.

[30]– ينظر، محمود فوزي، أنيس منصور ذلك المجهول، ص 69/68.

[31] – ينظر، المرجع نفسه، ص71.

[32]– ينظر، محمود فوزي، أنيس منصور ذلك المجهول، ص 72.

[33]– ينظر، المرجع نفسه، ص 72.